

فلسطين قبر الصهيونية

يقلم الاستاذ احمد صندوق

مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل المنكوبت
اتخذت بيتاً وان أوهن البيوت بيت المنكوبت
لو كانوا يعلمون . . . صدق الله العظيم

من لدن عزيز حكيم . . . ومثل من امثاله المبالغة
هكاه التي يضربها للناس . وما يعقلها الا العالمون وكم في
كتابه من حكم وامثال ، لو تدبرناها ووعيناها . . . وكم في كتب
اجدادنا من روائع الحكم ورياض الامثال . اذا تتبعناها ثبت
لدينا انه لم يترك الا اول للاخر شيئاً لا كما يقول ابو عثمان الجاحظ
كبير ادياء القرن الثالث وناطقة متكلميه بل نميل الى تصويب
رأي الشاعر الجاهلي القائل : هل غادر الشعراء من متردم .
وإذا كنت في شك مما أقرر فاليك المثل التالي : (وقف غراب
بالى شجرة في مرعى يضم قطيعاً من الاغنام . واذا بصوت
عظيم تفرقت الاغنام فرقامته فالتفت الغراب فرأى نسرًا يقض
من الجو وينشب مخالبه في حمل ويمود به من حيث أتى . اعجب
الغراب ببطولة النسر واراد محا كانه فحوم فوق القطيع ناعبا
ولكن القطيع لم يلتفت اليه فاهوى على كبش متلبد الصوف
وحاول التحليق به الى الجو كما فعل النسر . ولكنه لم يستطع
ذلك وعلقت مخالبه في صوف الكبش حتى لم يمكنه التخلص
فاخذ يرفرف بجناحيه كالاستغيث وحينئذ بصرة الرعاة وربطوه
بخط ووهبوه ليمض الصبيان . فاخذ يعبث به ويرسل الخيط
ويقبضه حتى نتف ريشه وحطم جناحيه وكسر رجليه واخيرا
ضرب به الارض فمات شرميتة .)

فانظر بربك الى هذا المثل العربي ثم قارن بين ذلك الغراب
الاقبح وهذا اليهودي الصهيوني ألست ترى تشابهاً تاماً وانطباقاً
كلياً بينهما ؟

رأى الغراب النسر وهو ملك الجو غير مدافع يصول على
القطيع فيقرعه ثم يقنع بما تستطيع يداه حمله فتمجبه منه هذه
الصولة . ولكنه لا يلبث ان يستصغر همته ناعتا اياه بالبله لانه
لم يفز بكبش صمين فيسول له غروره وهو الذي يهبش على

القاذورات والجيف ويبيت اكثر ايامه طاوياً اذا لم يقسن له
سرة قطعة جينة او اختلاس كسرة خبز او مساورة فارة او
غيرها من حشرات الارض الضعيفة . يسول له صلفه وحمقه
ان يفوز بضئمة لم تدر بخلد (ملك الجو) فضلاً عن ان يطمح
ببصره اليها . وهذا اليهودي الصهيوني يرى تلك الذئاب الضاربة
من دول الغرب تنشب مخالبها في اعناق الاقطار الشرقية تفتك
بالهند والصين والباكستان وغيرها . ثم تتأمر على
املاك الدولة التي اسموها « الرجل المريض » فتسلبها بلاد اللقان
ثم تحتل تونس والجزائر ومراكش وليبيا ومصر والسودان ثم
تتبعها بسوريا ولبنان وفلسطين والعراق وتتداسا بها الى نجد واليمن
والحجاز ثم تعطف على ايشوييا والباينا ثم تتفتت مينا وشمالاً فلا نجد
ما يتبلعه لقد تم لها الاستيلاء على انحاء المعمورة واذا تم امر بدا
فقصه . تلتفت كل منها فلا تجد فرسة جديدة تسد نهجها فتفكر
في حصة شريكها وهكذا فالنار تأكل بعضها ان لم تجد ماتاً كله
ومن هنا بدأت ريجها بالركود . ولما كان للظالم صدر يشتكى
بدون علة او وصب فقد كانت هذه الحريات المنصوبة رهنا
بخراب ممالك اربك المجرمين السفاكين . وما عمت ان
اصبحت بايديهم قاعاً صاففا لا ترى فيها عوجاً ولا امناً وحقت
عليهم كلمة العذاب وصدق فيهم قول الشاعر :

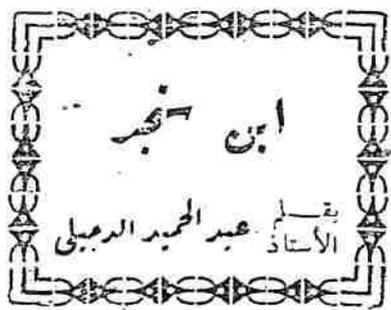
اشرب بكاس كنت تسقي بها امر في الطعم من العلقم
زعمت ان الدين لا يقتضي فاستوف بالكيل بالجرم .
ولكن نمود بالله من طغيان القلم فلسنا في موقف نبش
الاحقاد والتشفي . والقوم قد تابوا الى رشدم وتابوا توبة
فصوحا لا كتوبة الثعلب الناسك وتركوا اللام حريتها واسنوا
« هيئة » ومجلساً للمحافظة والمدالة والسلم العالمي فلننفر لهم
ما اقرؤوه ولنسدل على تلك المآسي حجاب النسيان ولنندع لهم
بالتوثيق وخلص النوايا .

ولنمد الى اتمام بحثنا . رأى هذا اليهودي الصهيوني تلك
الاسود الكاسرة تتحكم في الفرائس ثم تتخلى عنها راضية او
مكرهة تخلياً ابدياً او الى حين . فسوات له نفسه الامارة
بالسوء وزين له صلفه وغروره وحمقه وهو الذي كان يحيا حياة
دون حياة الغراب . حياة كلها ذل وهوان . حياة كلها شقاء
وألم . كان يذبح اني وجد . ويداس اني سكن . لا شيء

صوى ما فطرت عليه نفسه الشريرة من خسة ودناءة واؤم
ومكر وغش وحقد . وكرم شديد لعامة الشعوب واشغال
نار العدواة والبغضاء في كافة الامم . والحرص على جمع الاموال
بجميع الوسائل الشائنة كالربا والفجور وما الى ذلك (لان
الغاية تبرر الوسيلة في زعمه) . . لهذه الاخلاق السافلة
وحدها المتصلة في نفسه والجارية فيها مجرى الدم في عروقه
كان الكره له عاما في انحاء الدنيا . ها هي المذابح التي تعرض
لها في اوربا خلال القرون الماضية تملأ ضفحات التاريخ هذا
الشاهد العدل الذي يثبت ما اصبح عليه العرب والاسلام في
تلك المصور من أمن وعدالة وانه الحكومة الوحيدة التي فياته
ظلالها وآدنته على معتقده ونفسه وولده وماله وعرضه . ثم
هاهي الجواث في القرن العشرين وما قبله تسجل له ما لاقي
في المانيا والنمسا وانجلترا وروسيا وايطاليا واسبانيا بسبب
اخلاقه تلك . . بينما تسجل في كافة للدول الاسلامية من معاملتها
له ومحافظتها عليه ما يدعو الى العجب . . وفي ذلك اوضح رهان
على قسوة معاملة الاوربيين له (على استحقاقه لها ، وحسن
معاملة المسلمين له (بدون ان يكون اهلا لها) ذلك لان العرب
لا تحمل قلوب الغربيين . وقد يكون ذلك من اسباب تأخرهم
في هذا العصر ودليلا على وهن عزائمهم وعدم تبصرهم في
عواقب الامور . ومما يمكن من الامر لقد فكر اليهودي وقدر
فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر . فقال اتخلى بريطانيا
عن انتدابها في فلسطين ومصر والمراق وفرنسا عن سوريا
ولبنان . . ايا لجنهها ويا لسخرية القدر . انلا احل محلها فابدأ
بالتمكنين في فلسطين ثم ابث صومي في هذه الاقطار . واشعل
فيها نيران العدواة والبغضاء كما فعلت في فرنسا ومانيا وايطاليا
وروسيا وانكلترا وغيرها من الممالك التي جمعتها شيعة واحزابا
حتى اصبحت خرابا كان لم تغن بالامس . وما قيمة هذه الامة
البدوية التي مضى عليها عدة قرون استخذت فيها لانفاجمين .
والقت بزمامها لهم بتصرفون بها كما يشاءون وهل تمدتها نفسها
ان تنف في وحشي وانا الذي تنعسح رؤساء الدول العظمى
باعتابي . ونخطب ودي وكسخر قواها لتنفيذ ما ربي فالاموال
لن يعبدها والوظائف لن ينشدوا والحمر لن يقصدها والحسناء

لن يرصدها وبعد . فالغاية تبرر الوسيلة ، وكل هذه شباك
امدها وحبال احبكها ثم اجمعها فالاموال عوار مردودة .
وما اعرفني بطرق استردادها جرعة خمر فيسمة ثمر ، فزرة
خصر ، نظرة فابتسامة فسلام فكللام فموعد فلقاء وهناك يتم
كل شيء وترتفع من ايديهم كما تنبخر المياه فتعود من حيث
أتت . . ولاخير علينا من ذلك . . أليس شاعرهم يقول :
ان النساء رياحين خلقن لنا وكلنا يشتبي شم الرياحين
ثم اليس مبدؤنا العام املكوا فلسطين باموالكم ودمائكم
ونسائكم فليكن لهم ما ارادوا ليتم لنا ما اردنا ثم نفخ اليهودي
بوق التنفير العام فاجابته حثالات متفرقة من كل تحذب وصبوب
مزودة باعظم مافي الارض من وسائل الاغراء التي مهرروا بها
وحذقوها واصبحت طابعم الخصاص . . واخذ يبني اوكاره
وبعد عدته حتى اذا ماظن انه اشرف على الغاية وشرع يسد
ضربته الاخيرة فوجى بمالم يكن في حسبانته . نقد زال كابوس
الاستعمار وتقدمت الجيوش العربية لتلقي عليه درسا (في حفظ
الجميل) وتلك جيوش ليس في افرادها ولا نفوس ملوكها وامرائها
خنوع للمالك الخادع ولا الوظائف البراقة ولا الخمر المحذرة ولا الجمال
المكذوب المصطنع . انها نفوس آبت ان تخضع الا لله واميرها
ومأمورها بمنزلة سواء شمارها الله اكبر خمرتها التي تهيم بها
دماء الاعداء . والجمال الذي تتطلبه جمال النفوس والاخلاق
لا هذا الجمال الفاسق الماهر . وعلى هذا فقد توالت على
اليهودي الضربات القاصية برا وجوا وبحرا . وبدأ شخصه
يتضال رويدا رويدا وظله ينقلص واحدوية بطولته تتحول
الى خرافة يتندر بها رجل الشارع هنا وهناك . . واخذ
يستغيث ويستجد فلم يسع عشاقه الهائمين بماله وجماله بعد ان
توعدوا وزجروا وارعدوا وبرقوا بدون طائل الا ان يجنحوا
للمخادعة ويفرضوا هدنة مؤقتة ريثما يتوفق مجلس الامن لحل
المسألة على ضوء الحوادث الاخيرة حلا يتفق مع العدل والسلم
الدولي فلننتظر ما يطالنا به الند . . وانا فننتظر بهذا اليهودي
الاثيم الزنيم ما حل بذلك الغراب المائق حيث عاد العوبة بيد
الصبي يلقي حتفه على يديه الا أن يجمع شبابه وينجو بنفسه
حاملا جرابه على عاتقه يحوب قرى العالم شاردا قائما . ضربت
عليه الذل والمسكنة وباء بغضب من الله وذلك بما قدمت يداه .

قبل سنوات قليلة في طهران بطلب من حكومة ايران
طبع وبإشراف الاستاذ عباس اقبال كتاب تجارب السلف
 في تاريخ خلفاء الاسلام ووزرائه وملوكه الاقطاع في الممالك
 الاسلامية منذ عهد النبي حتى آخر خليفة عباسي . والكتاب
 هذا من اعم المصادر التاريخية في بابها لأنه العالم الاديب المؤرخ
 هندو شاه بن سنجر . وان كان في اللغة الفارسية كتب مهمة
 في التاريخ الاسلامي ولا سيما عن عهد المنول فما بعده ككتاب
 جهانگشا للوزير الكبير عطا ملك الجويني وطبقات ناصري
 لابي عمرو عثمان الذي اطنب فيه القول عن حكام الهند خاصة
 وجامع التواريخ للوزير رشيد الدين الهمداني وتاريخ وصاف
 للخواجه عبدالله وصاف الخفيرة وتاريخ كزيبه لحمد الله المستوفي
 وروضة الصفا لحمد بن شاه محمود في مجلدات سبع أتم المجلد
 السابعة حفيده خواند مير وما الى ذلك من كتب يطول تعدادها
 وهذه جميعها مطبوعة . اما المخطوطة بكثيرة أيضاً لا نرى موجبا
 للكلام عنها هنا . ولكني خصصت كلامي
 هنا عن كتاب ابن سنجر . لما حواه من
 مزايا ونكت تاريخية ونصوص نادرة
 لا توجد في غيره ولا سيما في باب تراجم
 وزراء المسلمين منذ العهد البويهي فما
 بعده . وعلى رغم اهمية الكتاب لم يثر
 اول من تنبه لاهميته البروفسور براون في كتب التراجم على
 كلمة واحدة عن المؤلف وقد حاول بعده العلامة محمد خان
 القزويني فلم يثر وبعبده جاء الاستاذ اقبال ناشر الكتاب فانتصر على
 ترجمة المؤلف من الكتاب نفسه حيث حوى الكتاب الشيء الكثير
 في مجاوبة عن المؤلف وقد نبهني الدكتور المفضل صالح صغاني جواد
 الى ان ترجمة لبعض اخوة المؤلف موجودة في مخطوطة مختصر
 مجمع الاداب لابن الفوطي فراجت الكتاب وفي صدفة من
 المطالعة فيه عثرت على ذلك الذي سأذكره لك . وقد اعلمني
 الاستاذ احمد حامد الصراف بأنه ترجم الكثير من الكتاب
 الى اللغة العربية وهو يرجو في القريب ان تكمل هذه الترجمة
 واعلمني انه رأى المؤلف ترجمة موجزة في كتاب جيب السير
 الفارسي وعلى رغم طبع هذا الكتاب ليس بمتناول يدي الا ان
 لا تاكد قول الاستاذ الصراف لهذا ساقصر في ترجمتي



للمؤلف على مقدمة الاستاذ عباس اقبال في اول الكتاب مترجماً
 لاغلبها تلك الترجمة التي اخذها من الكتاب نفسه كما قلنا مع
 اضافات وتعليق جمتها من الكتاب ومن مجمع الآداب وعمدة
 الطالب وكتاب الحوادث الجامعة وغيرها
 وقد عرف المؤلف نفسه في اول الكتاب فقال (هو هندوشاه
 ابن سنجر بن عبدالله الصاحب الكيراني . .) ومن كلمة الصاحب
 نعرف انه كان من خدم الصاحب شمس الدين محمد الجويني
 او انه كان مملوكاً له لان المؤلف كان من اتباع هذه العائلة الجوينية
 ومن خدم معها هو واخوته وبقيّة عائلته وهو طالما يذكر في
 كتابه هذه العائلة بالمدح والثناء والتعظيم فقد ذكر الخواجه
 علاء الدين عطا ملك الذي كان من اتباع اخيه شمس الدين
 وقد توفي علاء الدين سنة [٦٨١ هـ] وقيل اخوه شمس الدين
 الصاحب سنة (٦٨٣ هـ) وقد ذكره في كتابه ص (٣٤٦)
 ومن هذه العائلة الخواجه شرف الدين هارون بن الوزير
 شمس الدين وقد قتل أيضاً سنة ٦٨٥ هـ
 ومنها بهاء الدين محمد بن الصاحب الوزير
 شمس الدين وكان حاكماً باصفهان ومعروفاً
 بالسياسة السيئة .

هذه هي العائلة التي كان هندوشاه
 من اتباعها ، وينص في كتابه على انه كان
 في سنة ٦٧٤ هجرية نائباً عن اخيه في كاشان كما في ص
 (٣٠١) وهي المدة التي كان آل الجويني يحكون فيها ايران
 والراق ومن تصريحه هذا يظهر لنا ان الكتاب الف بهاء
 ذهاب هذه العائلة وبعد امارته في كاشان بمخمين سنة .
 ومن كلمة (كيران) نعرف ان المؤلف ينسب لمنطقة
 آذربيجان ، لان كيران كما في معجم البلدان مدينة بين تبريز
 وبيلقان ويظهر من الكتاب ان المؤلف نشأ في ولاية نخبجوان
 ومحدثنا المؤلف في ص (٣٤٧) انه درس في المدرسة المستنصرية
 حيث يقول [. . وفي هذا الوقت كات هذا الضيف ما كنا
 في المستنصرية ادرس الطب على ابن قيس النصراني وكان هذا
 على غاية الكبر والصف والعجز وكان شرف الدين الطيب
 ينوب عنه في الجانب الغربي من استاد ويقدم هناك عليهم وكان